الخصوصية الثقافية وبناء منهج الاعتدال السعودي: دراسة في المحددات والتحديات

15
د. عصام بن محمد عبد الشافي
باحث سياسي بمركز الدراسات والمعلومات بسفارة المملكة العربية السعودية بالقاهرة

الخصوصية عبارة عن منظومة متكاملة من الخصائص والسمات المادية والروحية، وأسلوب الحياة، والأخلاقيات، والنظرة إلى العالم ورؤية الذات والآخر. منظومة تتمتع بقدر من الثبات والاستمرارية، تكونت عبر عملية تراكمية وتفاعلية ممتدة عبر التاريخ. ونمت في بيئة ذات شروط طبيعية وبشرية معينة، وجاءت استجابة لهذه الشروط وتجسيداً لها.

و وفق هذا التعريف، وفي الخبرة السعودية، نجد المجتمع السعودي يتميز بالاستمرارية من جهة، وبالانفتاح على غيره من المجتمعات من جهة أخرى، وتتمتع المملكة بهوية ثقافية استطاعت وما تزال تحتوي الثقافات الأصيلة والوافدة، وأن تمزجها في نسيج متميز في إطار تراثها الإسلامي.

باعتبار أن البناء الديني بأبعاده العقدية أساسًا يحوي ويؤثر في كل الأبعاد الأخرى المتصلة بالمجتمع، ومن ثم ليس غريباً أن يظهر ويتأثر بالواقع الاجتماعي السعودي، الذي هو مستمر دون تكرار رتيب، ومستقر دون محافظة منزمتة، ومنفتح على العالم المحيط دون خوف من تأثير هذا العالم على هويته.

وفي هذا الإطار جاءت هذه الدراسة للوقوف على طبيعة «الخصوصية الثقافية» والمحددات التي تحكم وجودها وتطورها، وطبيعة التحديات التي تواجهها، في المجتمع السعودي، ودورها في بناء منهج الاعتدال التي تتسم به المملكة.

الخصوصية عبارة عن منظومة متكاملة من الخصائص والسمات المادية والروحية، وأسلوب الحياة، والأخلاقيات، والنظرة إلى العالم ورؤية الذات والآخر، منظومة تتمتع بقدر من الثبات والاستمرارية، تكونت عبر عملية تراكمية وتفاعلية ممتدة عبر التاريخ، وتمت في بيئة ذات شروط طبيعية وبشرية معينة، وجاءت استجابة لهذه الشروط وتجسيداً لها.

و وفق هذا التعريف، وفي الخبرة السعودية، نجد المجتمع السعودي يتميز بالاستمرارية من جهة، وبالانفتاح على غيره من المجتمعات من جهة أخرى، وتتمتع المملكة بهوية ثقافية استطاعت وما تزال تحتوي الثقافات الأصيلة والوافدة، وأن تمزجها في نسيج متميز في إطار تراثها الإسلامي.

باعتبار أن البناء الديني بأبعاده العقدية أساسًا يحوي ويؤثر في كل الأبعاد الأخرى المتصلة بالمجتمع، ومن ثم ليس غريباً أن يظهر ويتأثر بالواقع الاجتماعي السعودي، الذي هو مستمر دون تكرار رتيب، ومستقر دون محافظة متزمتة، ومنفتح على العالم المحيط دون خوف من تأثير هذا العالم على هويته.

وفي هذا الإطار جاءت هذه الدراسة للوقوف على طبيعة «الخصوصية الثقافية» والمحددات التي تحكم وجودها وتطورها، وطبيعة التحديات التي تواجهها، في المجتمع السعودي، ودورها في بناء منهج الاعتدال التي تتسم به المملكة.

وذلك وفق عدة محاور أساسية، وذلك على النحو التالي:

المحور الأول:
محددات الخصوصية الثقافية في المجتمع السعودي: وتناول العوامل والاعتبارات التي شكلت المحددات التي نمت في إطارها الخصوصية الثقافية للمجتمع السعودي، سواء البيئية/ الجغرافية، أو الدينية، أو الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

المحور الثاني:

انعكاسات الخصوصية الثقافية على المجتمع السعودي: فقد تعددت الانعكاسات التي أفرزها وجود خصوصية ثقافية متمايزة، ترسخت أبعادها في المملكة، وتناولت الدراسة أهم هذه الانعكاسات في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، سواء فيما يتعلق بنهضة المملكة وتقدمها، أو تحقيق الاستقرار الاجتماعي، وكذلك الاستقرار السياسي فيها.

المحور الثالث:

تحديات الخصوصية الثقافية في المجتمع السعودي: تواجه الخصوصية الثقافية في المجتمع السعودي، تحديات ذات نوعية خاصة، من شأنها، حال عدم التعامل معها بفاعلية، أن تؤثر في ثوابتها الأساسية، وفي إطار هذه التحديات تناولت الدراسة: التحديات الناجمة عن التنمية والتحديث، والتحديات الناجمة عن هيكل السكان والقوى العاملة، وتحديات الغزو الثقافي، وتحديات العولمة، وتحدي التطور التكنولوجي.

وانتهت الدراسة إلى أن منهج الاعتدال السعودي، يرتكز بالأساس على الاعتدال في التفكير، وفي التوجه، وفي الرأي، وفي الطرح، وفي التعامل مع مختلف القضايا، الاعتدال في كل شؤون الحياة، مع الاستقامة على الثوابت، وهو ما يتطلب لاستمراره وترسخه بناء خطاب معتدل يكرس مفاهيم التسامح والحوار والقبول بالرأي الآخر، مما يتطلبه العصر ولا يتعارض مع جوهر الدين، الذي هو جوهر خصوصية المملكة وأحد محددات تمايزها الثقافي والحضاري.